View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by E-Journal System IAIN Bengkulu (Institut Agama Islam Negeri)

Vol. 1 No. 1 Juni 2017 ISSN: 2599-0659

آثر القران الكريم فى اللغة العربية

نور هدايات

مدرس فى قسم اللغة العربية و تربيتها فى جامعة بانكولو الأسلامية الحكومية
البريد الإلكتروني : dayat38@yahoo.com

الملخص

مما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه وصحة عبادته. فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة. ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعاً للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مر العصور وكر الدهور.

الكلمات الدالة: اثر القران; اللغة العربية; لغة قريش

مقدمة

ان اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها. وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة. يقول أ. د. نور الدين عتر: "وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم" [1]

القران الكريم واثره فى اللغة العربية

نزل القران الكريم بلسان عربي مبين , فكان للغة العربية مزية لا تأتى لغيرها من اللغات, وكما أثر القرآن الكريم فى الأمة العربية, فى آخلاقها وعقيدتها وشتى نواحى حياتها, فقد أثر أيضا فى اللغة العربية تأثيرا بالغا يمكن إجماله فى المحاور التالية:

١. حفظ اللغة العربية :

فالمتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها , أو ضعفت بضعفهم, كمثل اللغة الفينيقية (لغة آهل لبنان قديما) واللغة المصرية القديمة واللغة لآشورية.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه حيث قال تعالى:

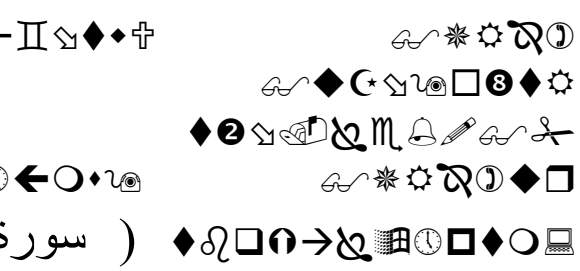

(سورة: الحجر: 9)

والذي يدقق النظر فى العربية المعاصرة يجد الكثير من الفاظها فارق أمه, وظلت تلك لأم الفصحى حية مقصورة على الاسخدام الدينى

[1] القرآن الكريم والدراسات الأدبية د. عتر، (ط. جامعة دمشق: 1992م) ص 359.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالقرآن الكريم[2] والسنة النبوية المطاهرة. فإن حدثنا عن القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية، حديث الشيء عن ذاته، فالقرآن الكريم عربي المبنى فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات.

ومن الراجح أن اللغة العربية هي أقدم اللغات على الإطلاق، كما بينت الدراسات الحديثة وأنها اللغة التي علّم الله بها آدم الأسماء كلها، وهي لغة أهل الجنة كما ورد في الحديث: "أَحِبوا العرب لثلاث :لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي" [3] ومن هذا المنطلق نجد الثعالبي يعبر عن هذه اللغة أبلغ تعبير فيقول في مقدمة كتابه الشهير فقه اللغة وسرّ العربية: "من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً) ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً (خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره"[4].فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين.

2. تقوية اللغة والرقي بها نحو

راجع : د.محمد محمد داود, الدلالة والكلام , فصل : ألفاظ الكلام والإستخدام الدينى [2] ة

4 رواه الحاكم في المستدرك (ط. بيروت، دار المعرفة) 4 /87 [3]

"سنده ضعيف" انظر كتاب مبلغ الأرب في فخر العرب للهيتمي ط. مكتبة القرآن، القاهرة: 1987 م))تحقيق مجدي السيد إبراهيم ص 20فقه اللغة وسرّ العربية الثعالبي: (ط. القاهرة: 1938م) ص [4] 1

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكمال

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول العلاّمة الرافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم"[5].

هذا ما عبر به إمام العربية الرافعي رحمه الله، وليس هو فحسب، بل اعترف أعداء العربية من المستشرقين وغيرهم بقوة اللغة العربية وحيويتها وسرعة انتشارها، فيقول "أرنست رينان": "من أغرب

---

[5] آداب العرب، الرافعي، (ط2، دار الكتاب العربي، بيروت: 1974م) 2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمّة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى..."[6].

ويقول جورج سارنوت: "ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد."[7]

ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية"[8]. ومما لا شك فيه أن

اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، (ط. مطبعة الرسالة، بيروت) ص 25.[6]

لغة القرآن الكريم د. عبد الجليل عبد الرحيم، (ط. مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان: 1981م) ص 585[7]

تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان، 1/ 23[8]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتراف أمثال هؤلاء، لا يقوي من وضع اللغة العربية أو يأخذ بيدها إلى الرفعة، وإنما ذكرنا أقوالهم لنبين أن الفضل ما شهدت به الأعداء. ويأتي العلاّمة الفراهي الهندي -إمام العربية في عصره – ليقول عن اللغة العربية: "أعلم أن كلام العرب كله نمط أعلى من كلام الأمم الذي تعودت به، لأنهم مولعون برزانة القول وتهذيبه من أمور سخيفة، فهم يجردون كلامهم من كل رابطة، ولو فعلوا ذلك كان عاراً على السامع، فإنه يفهم الروابط بذكائه، فلذلك كثر فيهم الحذف..."[9]

3. توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة

من المعلوم أن لجهات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات كما ذكرت، ينقل السيوطي عن الواسطي قوله ...." :لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب" ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن

[9] دلائل النظام (ط2، الدائرة الحميدية الهندية: 1991م) ص 77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه" ، ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعاً للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مر العصور وكر الدهور.

4. تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة

ومن المعروف أن العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لمّا ذُهب بهم إلى الصحراء لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي.

ولما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلاف اليهود والنصارى...." فأمر عثمان(يجمع القرآن، وكان قصده أن يجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي (وإلغاء ما ليس بقرآن خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد, [10] وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفزع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ. وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها.

5. تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة

ذكرت فيما سبق أن لغة أية أمّة هي صورة صادقة لذوقها العام وطبيعتها، وإذا كان للبقاع تأثير في الطباع، فمما لا ريب فيه أن اللغة تتأثر كذلك حسب الناطقين بها، والعرب أمّة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلا القليل، فلا جرم كان في لغتهم الخشن الجاف، والحوشي الغريب، وقد أسلفنا عن الواسطي أن لغة قريش كانت سهلة لمكان حياة التحضر التي كانت تحياها في ذلك. ولعل من يقرأ الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيماناً بما للحضارة من أثر ألفاظ اللغة، فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيراً من مثل "جحيش" و"مستشزرات " "وجحلنجع"، وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

والقرآن الكريم –فضلاً عن أنه نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة

[10] القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص 361.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونعومتها، فنزلوا عن حوشيتهم، وتوخوا العذوبة في ألفاظهم، ـقد تخير لألفاظه أجمل ما تخف به نطقاً في الألسن، وقرعاً للأسماع، حتى كأنها الماء سلاسة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم وحير ألبابهم، وأفهمهم أن البلاغة شيء وراء التنقيب والتقعير، وتخير ما يكد الألسن ويرهقها من الألفاظ، فعكفوا عليه يتدبرونه، وجروا إليه يستمعونه ذلك أن القرآن الكريم قد انتهج في تعابيره أسلوباً له حلاوة، وعليه طلاوة، تنتفي فيه الكلمة انتقاء، حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللغة العربية بمثابة اللباب وغيرها كالقشور، مما جعل ابن خالويه يقول: "أجمع الناس أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أصح مما في غيره" [11]، ولا أدل على ذلك من المقارنة بين الشعر الجاهلي والإسلامي، أو الأدب الجاهلي والإسلامي، لتجد البون شاسعاً، والفارق كبيراً، ذلك أن القرآن الكريم بفصاحته وروعة ألفاظه قد أغرى العرب على محاكاته، فأقبلوا إليه يزفون، ومن بحره ورياضه يستقون وينهلون، ومن ألفاظ ومعانيه يقتبسون ويتكلمون، فوضعوا بذلك قواعد علوم البلاغة، بغاية الروعة وقمة البراعة، متكئين فيها على ما في القرآن الكريم من أوجه الإعجاز، ناسجين منه أجمل حلة وأحلى طراز، ولهذا نجد أبا الهلال العسكري يقول: "وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما اختصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك

[11] المزهر في علوم اللغة العربية، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط. مصر) 1 /29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من محاسنه التي عجز عنها، وتحيرت عقولهم فيها"[12].

الخلاصة

اللغة العربية هي احدي اللغات السامية. فلغتهم سامية وهي اقرب فروع السامية الى اصلها لأ ن العرب لم يختلط بغيرهم كاختلاط سواهم ببعض الامم التى طغت لغتها على لغتهم فأبعدتها عن اصلها. ان مجيء الاسلام ابرز الاحداث التي كان لها اثرها في تطور فن اللغة العربية منها حفظ اللغة العربية, تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال, توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة, تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة, تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة.

المراجع

عبدالرحمنابن خلدون. الجزء الاول. مقدمة العلامة ابن خلدون . تاريخ وحيد عصره العلامة. دارالفكر

ابوالفرج الاصفهاني, الأغانى, بيروت: دارالفكر 1407ه.

الاساتذة بالأقطار العربية, المعجم فى الادب العربى وتاريخه, القهرة: دارالمعارف, 1958جرجى زيدان, تاريخ ادب اللغة العربية, بيروت: مكتبة البحوث والدراسات, 1997

احمد الهاشمى, جواهر البلاغة فى المعانى وابيان وابديع, مكتبة دار احياء الكتب العربية, 1960

احمد ابو سعد, معجم التراكيب واعبارات الاصطلاحيةالعربية, بيروت: دار العلم للملايين, 1989

احمد ابن ابراهيم ابن المصطفى الهاشمى المصرى, جواهر الأدب فى ادبيات وانشاء لغة العربية. بيروت: دار الكتب العلمية.

البستانى, ادباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام, بيروت: دار الجبل, 1989

الثعالبى, فقه اللغة وسر العربية, القاهرة, 1938

[12] كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، (ط. مصر) ص2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفاخوري, الموجز فى الأدب العربى وتاريخه, بيروت: دار الجبل, الطبعة الثانية, 1991
كلية المعلمين الإسلامية, تاريخ الأدب العربي, الجزء الأول. الطبيعة الجديدة, دارالسلام
محمديوسف, زهير ابن ابى سلمى حياته وشعره, بيروت: دار الكتب العلمية, 1411ه
محمدمحمد داود, الدلالة والكلام,
الشيخ أحمد الإسكندي والشيخ المصطفى عناني, الوسيط في الأدب العربي و تاريخه, دار المعارف, 1978
شوقى ضيف, الفن و مذاهبه فى النثر العربى, القاهرة: دار المعارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com